

## الفصل الثامن

- طريق المستقبل
- الإيمان والمعرفة
- النصر
- الصبر والتحمل
- القوة غاية مطلوبة في الإسلام
- مواقف ومثل

obeikandi.com

## الإيمان والمعرفة

أيها الشباب :

إن أول حجر تبني عليه مستقبلك هو الإيمان . والإيمان متعدد الجوانب :  
الإيمان بنفسك : على أن فيك استعدادات لو نمبتها كنت ذا قوة وذا سيادة . فيك  
استعداد التفكير ، وفيك استعداد الإرادة ، وفيك استعداد الوجدان . ولو نمت  
تفكيرك بالمعرفة الصحيحة لكنت ذا تدبير سليم في أمر نفسك وكشف طريقك .  
ولو نمت إرادتك لكنت ذا عزم وتصميم في مواجهة أزماتك أو في تحمل المشاق  
في سبيل وجودك . ولو نمت وجدانك لكنت صاحب ذوق في أمر نفسك  
وصاحب أدب في عشرتك لغيرك ، وصاحب عون للضعيف معك في أسرتك  
ومجتمعك .

والإيمان بمجتمعك : على أنك عضو فيه ، وهو متكفل برعايتك . والإيمان  
بمجتمعك على هذا النحو يطالب منك أن تتعلم كيف تجد من أذنتك ، يطالب منك  
أن تتعلم كيف تنظر إلى غيرك على أنه شريك لك ، يطالب منك أن تتعلم كيف  
توجه طاقة الحماس وقوة الشباب في سبيل الخير والعون لمجتمعك .

والإيمان بالوطن : على أنه الدار التي تسكنها ، وأنه الأهل الذين تعيش بينهم ،  
وأنه الحمى الذي تحتمى به من أحداث الزمن ، وأنه الذي تتقي به اعتداء الغير . فإذا  
نميت إيمانك بوطنك على هذا النحو وجدت من الوطن عوناً لك أي عون في تأمين  
مستقبلك وضمان أمنك وسلامتك .

والإيمان بالله : على أن تعاليمه هي التي ترشدك : كيف تؤمن بنفسك ، وبمجتمعك ،  
وبوطنك ، وكيف تنمي هذا الإيمان فيك ، فتصبح إنساناً في سيادتك في هذه الحياة

لا تشذبه أنانيته عن طريق القوة التي يملك بها أمر نفسه في شأن التعاون في سبيل الخير مع نفسه .

وبجانب الإيمان - وهو حجر الأساس كما ذكرنا - تأتي المعرفة . والمعرفة التي تؤهلك لفهم نفسك ، وفهم للصلة بفيرك ، والتي تعينك على كشف الكون الذي تعيش فيه .

وعن طريق هذين الأمرين تدفع الحياة على هدى وبصيرة . لك من الإيمان قوة الدفع ، ولك في المعرفة سبيل الكشف والهداية .

أيها الشاب :

إنك في بداية الطريق في الحياة ، وإنك في بداية أمرك في تحمل المسؤولية . فإن لم تستعن بالإيمان والمعرفة منذ بداية طريقك في الحياة فسيضعف أمرك وستخبط في سيرك . أعددت للقيادة والرعاية فاعمل على أن تكون قائداً أو راعياً: « وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . ولا تكون قيادة بدون إيمان ومعرفة .

## النصر

أيها الشباب :

كان لكم بالأمس القريب موقف من عرو جاء يغزو بلادكم بما له من قوة مادية متعددة الجوانب . وهو موقف تجلى فيه حماس شبابكم ، وتجلت فيه بطولاتكم وتجلى فيه إيمانكم . بوطنكم ، وتجلت فيه التضحية ، بما لكم من شباب وقوة في سبيل هذا الوطن . وكان لوقفكم هذا أثر في رد العدو على أعقابها ، يحمل خيبة الأمل وحكم التاريخ المشين . وهو حكم يصور وحشية المعتدى ، ونأمره في خبث طوية على اغتصاب حرية الشعوب والاستخفاف بالقيم الإنسانية .

وإذا رجعت لأنفسكم اليوم وحللت عناصر هذا الموقف وجدتم أنكم آمنتم بوطنكم وبمجتمعكم ، وبما له من غايات وأهداف ، ثم كات نهاية موقفكم هذا : أنكم انصرتم وفزتم بوطنكم وبصيانة أهداف مجتمعكم . وإذن لا بد أن تتخذوا من هذه الأحداث عبرة ، تجدونها دوماً ظاهرة مكررة في التاريخ وهي : أن الإيمان بالبادئ يضمن أخيراً النصر للمؤمنين بها ، مهما كثرت الأزمات واشتد ظلام الحوادث .

الإيمان بالبادئ - سبيل النصر :

والحياة الإنسانية تتكرر مظاهرها ولكنها تشابه . لأنها تعود إلى سنن ومبادئ لا تتخلف في حياة جيل عنها في حياة جيل آخر من أجيال البشرية . ومن هنا - لكي تنجحوا - أيها الشباب في حياتكم المقبلة ، وأنتم لبنات هذا المجتمع الحديث الذي يقوم اليوم في وطننا العزيز - يجب عليكم أن تدرکوا واضحاً : أن النصر لا يكرن إلا للمؤمن ، وإن نصر المؤمن بالبادئ . والمثل أبدى خالد . وعليكم أن تضيقوا إلى قوة شبابكم وحرارة نفوسكم : الإيمان بالله والمثل لغايات مجتمعكم ،

وأن تدربوا أنفسكم على التضحية في سبيل هذه المبادئ والغايات ، حتى تضمنوا النجاح والظفر بالنصر يوم تلتقى بكم الحوادث أو تلتقون أنتم بالأزمات .

وكما أن النصر الخالد الذي يكفله الإيمان بالمبادئ هو من سنن الحياة الإنسانية — كذلك الأزمات ، وكذلك لقاء الأحداث ، وكذلك التربص من قبل العدو : من سنن الحياة البشرية أيضاً .

وهنا لكي تعيشوا آمنين مطمئنين — يجب أن تؤمنوا بالمبادئ والمثل وحدها التي يتغيا مجتمعكم ويهدف إلى تحقيقها .

## الصبر والتحمل

أيها الشباب :

أمامكم حياة طويلة . وما مضى من حياتكم فمسئوليته كانت على أوبكم وإهلكم ، وما تستقبلون من حياة اليوم عليكم عبء المشاركة فيها . وما يكون لكم من حياة غداً وبعد غد أتم وحدثكم ستحملون مسئوليتها وتستقبلون بأمراها .

وحياتكم اليوم وغداً ليست حياة مهلهة ميسرة في كل نواحيها . فيها الصعاب وفيها العقبات . وهذه الصعاب والعقبات لا تحلها المعرفة التي تحصلونها في المدرسة ، ولا تزيلها تجارب الطفولة الماضية . وإنما بجانب المعرفة تحتاجون إلى صبر وتحمل في تحطيمها .

وهوى النفس ونزوعها إلى الانطلاق ورغبتها في عدم التقييد بما في المجتمع من عرف وعادة وقانون — من أشق الصعاب وأشد العقبات التي يجب على الشباب أن يجتازها ، حتى يستطيع أن يشارك في مسئولية حياته اليوم ، ويقوم بها وحده في حياته في الغد .

ولكي تجتاز — أيها الشباب — هوى النفس ونزوعها إلى الانطلاق يجب أن تتحمل ترويض النفس على الطاعة لما في مجتمعك من عرف وقانون ، كما يجب أن تتعود الصبر إذا ما فانتك رغبة أو أخفقت في تحصيل ما ترجو وتطلب الآن .

أيها الشباب :

الحياة الإنسانية ، وحياة الإنسان في المجتمع ليس طريقها دائماً معبداً وسهلاً ، وليس ذا استواء واحد . وإنما هو كالطبيعة : يرتفع وينخفض . وإذا ارتفع شق صعوده . وإذا انخفض احتاج الأمر إلى بقضة في النزول . وفي كل إذا لم يكن

الإنسان ذا صبر وتحمل لا يستطيع أن يبلغ قمة الطريق الصاعد . كما لا يستطيع أن يتجنب الزلل في الطريق النازل .

حياة الإنسان فيها الصحة والمرضى ، وفيها اليسر والعسر في العيش ، وفيها سرور النفس وإقباضها ، وفيها الاستقرار والقلق . وحياة الإنسان في المجتمع فيها الفوز والإخفاق ، وفيها الشعور بالنصر اليوم والشعور بخيبة الأمل غداً . فإن لم يصبر الشباب على عسره اليوم لاستقبال اليسر غداً ، وإذا لم يتحمل خيبة الأمل اليوم ليتربص بالنصر غداً . فانتشأوم سيكون نتيجة عدم الصبر والتحمل في الحياة . وانتشأوم في الحياة أمارة الفشل أو أمارة عدم صلاحية الإنسان للحياة الإنسانية . صبر الشباب ضرورة في تخطى عقبات الحياة ، وضرورة أخرى للصلاحية للبقاء والسيادة فيها .

## من توجيهات الاسلام للشباب

القوة غاية مطلوبة في الاسلام :

يروى عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال : « توشك ان تدعى الامم عليكم ، كما تدعى الاكلة على قصعتها ، قال قائل : امن قلة نحن ؟ قال : لا ، بل انتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة لكم من قلوب اعدائكم » .

الشباب بين مرحلتين :

تجتازون اليوم بشبابكم مرحلة وسطى بين طفولتكم السابقة وبين اكتمالكم ورشدكم المنتظر . يومكم اليوم يقع بين يوم يجب أن يمضي إلى سبيله وآخر يجب أن تصلوا إليه إذا كنتم حريصين على أن تبلغوا مبالغ الإنسان الكامل . أما اليوم الذي يجب أن يمضي فهو ذلك اليوم الذي كان ينظر إليكم فيه على أنكم صغار ، لا تحملون مسؤولية ، ولا ترون في الحياة إلا أنفسكم وما تشتمون . وأما اليوم الذي يجب أن تبلغوه فهو اليوم الذي ينظر إليكم فيه على أنكم قد اكتملتم في أنفسكم ، وفي أخلاقكم وفي تفكيركم ، وفي يقظتكم للحياة . هو اليوم الذي تحملون فيه مسؤولية عملكم ، وتشقون فيه وحدكم طريقكم في الحياة على أمل النجاح فيه .

شبابكم هو الحلقة الوسطى في حياتكم الإنسانية . وفيه يتقرر مصيركم ويتحدد اتجاهكم من قوة وضعف ، ونجاح في الحياة أو هزيمة فيها .

فيكم اندفاع الشباب ولكن يجب أن يتحول إلى قوة في الكفاح . والكفاح أيها الشباب - لا يكون إلا إذا كانت هناك غاية ، يتطلب تحقيقها الجهد في السعي ، والصبر في العمل من أجلها . لا يكون مكافئاً من استمرار الكسل ،

وساعد الجمل على أن يسيطر عليه ، أو المرض على أن يقضى عليه ، أو الهوى على أن يتحكم فيه . إنما المكافح من استقل فراغه فيما يجدى على صحة بدنه وسلامة عقله وتوجيهه . المكافح من تب ليحصل المعرفة ، وغالب شهوة نفسه في أن تصيبه بمرض مهلك أو تنحرف به في طريقه إلى النجاح .

مرحلتكم أيها الشباب التي تعيشون فيها هي مرحلة المكافح ليصعد في الحياة بدلا من أن يسقط فيها . وطريق الصعود واضح ، وطريق السقوط واضح أيضا . من عمل منكم على أن يقود نفسه ليتقلب على الصعاب — وهي كثيرة في طريقه ، وأصعبها صعاب جموح الشباب فيه — فقد ملك طريق الصعود . ومن هو ممتع في ميول نفسه ، وارتبط بميوئياته ، وترك مجال فكره كإنسان فقد سقط في حياته ورضى لنفسه أن يكون تابعا ، وغيره أن يكون ذا نفوذ عليه .

#### قوة الخلق أولا :

وأخص ما يدعوكم إليه الإسلام — أيها الشباب — أن تكونوا أقوياء في أخلاقكم فتتصرفوا عما عليه الأبطال من الأثرة والأنانية ، وتتغلبوا على ما يخامركم في هذه الفترة ويجول أن يسيطر عليكم من هوى النفس وساطانه . وبدعوكم إلى أن تكونوا أقوياء في معارفكم ، وأصحاب في عقولكم بالجد في تحصيل ما تدرسون وبالمنافسة الشريفة في التميز بصفات العقلاء ، والعلماء ، والمقلدين وأصحاب الملكات الفنية المختلفة .

الإسلام في هذا الحديث الشريف لا يقيم وزنا بالكثرة العددية المسلمين وهم ضعفاء تحقهم المهانة من هنا وهناك ، ولذا يدعوهم إلى أن يكونوا أقوياء في إرادتهم وإيمانهم ، ومعارفهم وعقولهم ، وفهمهم للحياة وسيطرتهم عليها .

أشفق عليهم عليهم السلام أن يكونوا بين الأمم ضعفاء عديمي القيمة والجدوى كالفناء الذي تحمله السيل في ضعفه وتفاهته .

ولست القوة كلمة تقال، أو نداء يرسل فيلبي بالأسنة والشفاه. إنما القوة عمل وتدريب على العمل، إنما القوة سعى مضن وجهاد يشق على النفس أول الأمر . ولهذا شرع الإسلام من ألوان العبادات ما يساعد الإنسان على أن يكون في كفاحه قوياً ، وفي سعيه إلى هدفه قوياً حتى ينجح .

وفي مقدمة هذه العبادات : الصوم . إنه امتحان لإرادة الإنسان ، وعلى وجه أخص امتحان لإرادة الشباب . لأن الشباب سيدخله مكلفاً وملزماً به من قبل الله تعالى لأول مرة في مرحلته هذه ، عند البلوغ الجنسي .

والشباب الذي ينتصر في أداء هذه العبادة قد اطمئن على أن له إرادة . ومن له إرادة كان قوياً ، ومن كان قوياً كان بناءً لا هداماً ، لنفسه ولأمته ووطنه .

أيها الشباب: يقول الله تعالى: « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها »<sup>(١)</sup> ويقول: « و من جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين »<sup>(٢)</sup> .

(٢) العنكبوت : ٦ .

(١) فصلت : ٤٦ .

## مواقف ومثل

أيها الشباب :

أنتم أيها الشباب بين فترة مضت ، هي فترة الطفولة ، وأخرى آتية لاشك فيها وهي فترة الرجولة . والرجولة قوة ومرورة واكتمال .

ومن هنا تسمون نحو القوة ، ونحو النخوة ، وتؤمنون بما هو قوى ، وتضحون في يسر بأعز ما تملكون في سبيل ما تؤمنون به .

ورغبتكم في الرشد ، وفي اكمال الإنسانية قد تدفعكم إلى تمثيل دور البطولة أو إلى الميل إلى قراءة تاريخ الأبطال والعظماء . وليس أهون على الشباب من تقديم المثل الأعلى للتضحية فدية لإيمانه ، ولما يعتقد . وتاريخ الإسلام مليء بالناذج البشرية للشباب . هذه النماذج التي ضحت في سبيل الإيمان به بأعظم ماتلك وبأعز ما تحرص عليه . فهاكم ذا : سعد بن أبي وقاص ضحى بعاطفة الأمومة وعلاقة أقرب الناس إليه وأبرهم به عندما تعارضت هذه العاطفة مع عقيدته التي خالطت روحه ، واحتلت أسى مكان في قلبه ، وهو بعد لم يبلغ العشرين من عمره . استمع إليه يحدثك عما حدث بينه وبين أمه أول إسلامه :

قال سعد : « لما أسلمت - وكنت رجلاً باراً بأبي - قلت : يا سعد ! ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ لنذعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي ! فقلت : لا تفعل يا أمي ! فإني لا أدع ديني . ومكنت يوماً وليلة لانا كل ولا نشرب ، فأصبحت وقد جهدت . فقلت : والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت هذا الدين بشيء . فلما رأيت ذلك أكلت وشربت .

فأنزل الله سبحانه وتعالى: « وإن تجاهدك [ أى الوالدان ] على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفاً <sup>(١)</sup> » .

وهكذا لم يهز سعد بن أبي وقاص في إيمانه تسلط والدته وضغطها عليه وتهديدها إياه بالانقطاع عن الأكل والشرب . ومع ذلك حافظ على حرمتها كوالدة وصاحبها في الدنيا معروفاً . وامثل بذلك لما أمر به الله في هذه الحال بقوله « فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » .. أى لا تمتثل للوالدين إذا حاولا حملك على الشرك والاعتقاد بالوثنية أى إذا حاولا إضلالك وإفساد أمر عقيدتك ، ولكن مع ذلك صاحبها في الدنيا معروفاً ولا تقبل لها أف .

ومن قبل سعد بن أبي وقاص كان على بن أبي طالب كرم الله وجهه . فقد عرض نفسه لفتك المشركين به ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة ، واستهدف لخطرم ليفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، إذ بات في فراش الرسول هذه الليلة مع علمه بأهم قدرته في هذه الليلة على أمر الجماعة في يوم سابق وتدبيرهم أمر هذا القتلى وتوقيته بهذا الوقت . وقد قال رضى الله عنه عن نفسه : والله ما أبلى ، أسقطت على الموت أم سقط الموت على . شاب يعلم هذا الخطر ، ويعلم تصميم الأعداء على اقترافه ومع ذلك يتقدم إلى الموت ويقدم نفسه قرباناً في سبيل إيمانه بالحق وبصاحب الدعوة إليه — هو نموذج ومثل للمؤمن القوى . ولذلك يقول رسول الله ﷺ إشدادة بقوة الإيمان : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

أيها الشباب :

اجعلوا سعيكم نحو القوة إلى قوة الحق والإيمان به . واجعلوا ميلكم إلى

التضحية والفداء في سبيل هذا الحق وفي سبيل الداعي إليه . ولا تردكم عن اتباع  
هذا الحق ومؤازرة صاحبه عاطفة أب وأم أو عاطفة صديق وزميل ، إنها الحياة  
مرة واحدة . فأولى أن تكون في نصرة الحق ونصرة قائدهم . وأنتم الذين تضربون  
المثل في التضحية عن يسر ورضا ...